مجلة كواليس — كانون الاول ١٩٩٩

مئة يوم مع معلم حكيم

تاليف د . جوزيف مجدلاني
أو (ج . ب . م كما يظهر على مؤلفاته)
منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء
٢٠٨ صفحات من القطع الوسط

للمرة الواحدة والعشرين تُغني «منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء» مكتبتنا كما تغني فضاءنا الفكري. وللمرة الواحدة والعشرين يطل علينا مؤسس مركز الايزوتيريك في لبنان والعالم العربي الدكتور جوزيف مجدلاني (أو ج .ب.م كما يظهر على مؤلفاته) من خلال كتاب اقل ما يقال فيه أنه مهم... مهم لعدة اسباب نذكر منها اثنين:

الاول انه يضعك امام ذاتك وفي مواجهة نفسك حافزاً اياك لاتخاذ موقف صريح.. تماماً كما يحصل في الكتاب مع الطالب المريد الذي يقصّ علينا «ما عانى وما عاين» باسلوب سلس، شيق وطري، وببساطة سرد لا يمكن ان تنسيك للحظة عمق الامور المطروحة وجوهريتها، وربما خطورتها!

الموقف الصادق الذي تفرض نفسك عليك اتخاذه عند قراءة هذا الكتاب الممتع، هو موقف من الكثر مما تحدّر اليك عبر عصور من الحضارة الانسانية، موقف مما كنت تأخذه إما كمسلّم من المسلمات فلا تتعب نفسك بالتفكير فيه، أو تتركه جانباً، أو تعزيه الى الاسطورة او الى الخزعبلات، الموضوع هو القدرات «الخارقة» او «المعجزة» في المفهوم العام.

وهذا ما يوصلنا الى السبب الثاني الذي يجعل كتاب «مئة يوم مع معلم حكيم» كتاباً على درجة بالغة من الاهمية، خصوصاً مع نهاية القرن وبداية عصر جديد. فعدا كونه كتاباً يلتهمه طالب المعرفة بشغف، هو ايضاً كتاب يُطرح على مائدة العلم الحديث، بل من الضروري ان يطرح على تلك المائدة، فهو يشرح القوانين الثابتة وراء الكثير من الظواهر التي يُعرف العلم بوجودها.. ويحاول علم النفس وبالتحديد البارابسيكولوجيا البحث في ماهيتها واستقصاء اسباب حدوثها.. لكن بشكل محدود جداً، ومن منطلق مادي ضيق.

الكتاب يوجز سيرة ذاتية، سيرة مئة يوم قضاها طالب ايزوتيريك مع معلم حكيم في مكان ما في جبال الهملايا.. قام فيها المعلم بتعريفه (مع مجموعة محدودة من الطلاب) الى القدرات الكامنة في الذات الانسانية، والى ما يستطيع الانسان المتفتح على المحبة والساعي الى الحكمة والعامل في سبيل الخير العام من تحقيقه.

فالمقدرات كامنة في كل انسان، ومصيرها التفتح لخدمة تطور الوعي الانساني واكتماله، فقد وهب الله الانسان مقدرات سامية تفوق قوى الطبيعة وتستطيع التحكم فيها والسيطرة عليها.. من منطلق ان الانسان هو نقطة البيكار. هو المركز والمحور لكوننا هذا.. ومن منطلق ان الذبذبات الفكرية او العقل الانساني اسمى من ذبذبات كل الموجودات. نرى المعلم وطلابه في مختبر الحياة يقومون بالتجارب العلمية الايزوتيريكية (في جال القوى المتطورة) ويشرح المعلم لطلابه تقنية حدوثها باسلوب علمي. لأنك فعلاً ترى تجربة مختبرية مادية قريبة من ذهنك، فتفهم القوانين التي تحكم فيها... ولا يتوقف المعلم عن تذكير طلابه بأن هذه المقدرات السامية ليست للإستعراض، ولا هي تتفتح مع وجود سلبيات النفس، او الغايات شخصية، أو غياب المبادئ الانسانية الكبيرة.

تفرح وانت تقرأ الكتاب فتجد ذلك المزج، او تلك الصداقة، او ذلك التزاوج بين ما كنت تظنه من عالم آخر، لا تقترب منه بفكرك ولا تدركه بعقلك (او كذا زرع في لاوعيك عبر العصور المتتالية) وما هو من عالمك المحسوس والمعقول.. تفرح لأنك ترى في «مئة يوم مع معلم حكيم» بشائر عصر جديد، وحضارة جديدة، وعلم جديد يجمع «المتناقضات» ويحد «المنجزات» يوسع الآفاق.. اخذاً بالإنسان.. طريق الحكمة نحو وعي حقيقة كيانه الداخلي ومقدراته الانسانية السامية..

أما حكمة الكتاب فتتجلى في السطور التالية:

ما كانت الحياة يوماً
سوى مركب يمخر عباب الوجود..
وما كان الانسان يوماً
سوى بحار يقصد مرسى الأمان
وما كان الوصول يوماً
سوى الاندماج بمصدر النور!

***

ما ابخل الزمن يضنُّ علينا بلحظات هنائه
كلما زارتنا السعادة..
وما اقسى الحياة تحرمنا صبرها
كلما تقدمنا على مسار الوعي..
علمني الزمن ان ابقى دائم الترقب
كي لا تفاجئني ضرباته..
وعلمتني الحياة ان ابقى متيقظاً ابداً
كي لا يسبقني ركب التطور..
فلا الزمن يرحم انساناً متباطئاً
ولا الحياة تسامح شخصاً كسولاً..
لأن الزمن عصب الوجود،
فيما الحياة نبضه المتواصل!